الإسلام والاستعمار

في الجزائر يعتبر تعليم اللغة العربية والدين جريمة يقبض على فاعلها كما يقبض على اللصوص وقطّاع الطريق ، وينادى عليه في قفص الاتهام معهم ، ويحشر كذلك معهم في سجن واحد !

وفرنسا — كما يقول كتّابنا المائعون — هي أم الحرية ، وهي التي علّمت العالم كله مبادىء الحرية والإخاء والمساواة !

وفي جنوب السودان يعتبر وجود مسلم واحد — ولو كان ذاهباً للتجارة — خطراً عظيماً تجند له بريطانيا قواتها ، وترصد له الادارة في السودان جهودها ، ويقبض عليه ليرد الى الشمال ، كي لا يقع الأهالي المسالمون فريسة للاسلام ! ذلك بينما تعبأ كل قوى الادارة هناك لحماية التبشير والمبشرين ، ومنحهم التسهيلات من كافة الانواع !

وانجلترا — كما يقول كتابنا الخونة — هي الدولة التي لا تتدخل في الحرية الدينية .

ومن وراء الاستعمار البريطاني والفرنسي ، تقف اميركا بدولاراتها وطياراتها ودباباتها وقنابلها الذرية ، تحمي الاستعمار

في كل مكان ، وترد له هيبته الضائعة ، وتقتل المواطنين الأحرار الذين يدافعون عن بلادهم ، وتخذل قضايا الحرية في هيئة الامم المتحدة ، وفي مجلس الامن الدولي .

وأمريكا — كما يقول كتابنا المرتزقون — هي حامية الحرية « في العالم الحر » الذي يتحدثون عنه ولا يعرف العالم له وجوداً .

إن الاستعمار يرصد للشعوب التي تطلب الحرية كل قواه ، ولكنه يختص الاسلام وبلاد الاسلام بعناية فائقة منذ عهد بعيد . ولقد كان يختص الاسلام بعنايته حتى قبل أن تهب الشعوب الاسلامية لتطالب بحرياتها المسلوبة . وذلك أن الاستعمار لم يغفل لحظة واحدة عن القوة الكامنة في العقيدة الاسلامية ، وعن خطر هذه القوة على كل استعمار أجنبي .

إن خطر القوة الكامنة في العقيدة على الاستعمار ينبع أولاً ، من أن الإسلام قوة تحريرية هائلة ، وروحه تأبى كل اعتداء على الحرية ، وتقاوم هذا الاعتداء بصلابة : تقاومه مقاومة إيجابية تهون في سبيلها الارواح ، ويهون فيها البذل والتضحية . فإذا ما استيقظت روح الإسلام في أمة فمن المحال أن تتخلى عن حريتها ، ومن المحال أن تسكت عن الصراع الإيجابي ، الذي يحطم قواعد الاستعمار تحطيما .

كذلك ينبع الخطر على الاستعمار في العقيدة الاسلامية ، من أنها عقيدة استعلاء واعتزاز وكبرياء . فالمسلم حين تستيقظ فيه روح الاسلام ، لا يطيق أن يعلو عليه أحد ، ولا يطيق أن

يذل لاحد ، ومن ثم ينظر الى الاستعمار الاجنبي نظرته الى المنكر الذي تتحتم ازالته ، ويتحتم كفاحه ، تحقيقاً لعزة الإسلام ، وصيانة لكرامة المسلمين ، وابتغاء لمرضاة الله .

وثمة منبع ثالث للخطر على الاستعمار من العقيدة الاسلامية. أنها عقيدة تجعل من الوطن الاسلامي كله وحدة : من اعتدى على شبر منها فقد اعتدى عليها جميعاً . وعندئذ يتحتم على كل مسلم في أطراف الارض كلها أن يعلن الجهاد لرد الخطر عن ذلك الشبر الواحد من تلك الرقعة الاسلامية المريضة .

وما من مسلم في أقصى الارض ، ما من مسلم حق ، يسمع أو يعلم أن عدواً داس على شبر من أرض الاسلام ثم لا ينتدب نفسه للذود عن أرض المسلمين وكرامة المسلمين .

وهنا يكمن الخطر الاكبر على الاستعمار ، خطر التجمع والتكتل تحت لواء واحد للمقاومة والكفاح ، بروح التضحية والفداء .

ومن هنا كان الاستعمار — وما يزال — يخص الرقعة الاسلامية بعناية خاصة ، تتساند الدول الاستعمارية كلها في كفاح كل حركة من حركات التحرير في العالم الاسلامي . ثم تنضم روسيا السوفياتية وكتلتها الى دول الاستعمار الغربي ، كلما كانت القضية قضية قطر مسلم ، على ما بينها وبين الكتلة الغربية من شقاق وعداء .

إن روسيا السوفياتية وكتلتها الشيوعية ، سارقة للوطن

الاسلامي في التركستان ، والقرم ، ويوغسلافيا وما إليها . شأنها شأن الكتلة الغربية في الشمال الافريقي ووادي النيل ، ومن ثم فإن مصلحة اللصوص تلتقي كلما كانت القضية قضيـــة قطر اسلامي ، ثم تفترق بعد ذلك ، فتبلـغ حد الحرب البـاردة أو الحارة عند الاقتضاء .

وعلى الرغم من أن الكتلة الشيوعية تناصب المسلمين العداء ، شأنها شأن الكتلة الغربية على السواء ، فان الوطن الاسلامي بحكم روح التحرير الكامنة في الاسلام ، يحب لكل حركات التحرير — ولو كانت شيوعية كحركة فيتنام وحركة كورية — ان تنتصر على الاستعمار الغربي البغيض ؛ وأن يتقلص ظل الاستعمار الاسود من الارض كلها ، لأن الإسلام بوصفه أكبر ثورة تحريرية .

وكل ما يريده الإسلام في الارض ، أن تترك للناس حرياتهم كذلك من ناحية حرية الدعوة وحرية العقيـدة . لذلك هو يخاصم النظام الشيوعي القائم ، الذي يحرم الناس حرية التفكير ، وحرية الاعتقاد وحرية الدعوة الى العقيدة التي يريدون. وبذلك يحرمهم أخص خصائص الإنسانية الـتي يحرص الاسلام عـلى تحقيقها ، ويهدرها النظام الشيوعي القائم كل الإهدار .

على أية حال نعود الى الاستعمار ، فهو عدونا الأول ، عدونا الواقعي الذي يجب أن نتوجه إليه بأحقادنا المقدسة ، وأن نكافحه بلا هوادة ، لأنه هو يكافحنا بلا هوادة ، ويرصد لنـا

من قواه ما لا يرصده للشيوعية ذاتها وهي عدوته الظاهرة .

وهو لا يرصد لنا قوة الحديد والنار وحدها ، بل إنه يضع لنا الفخاخ الاقتصادية ، على نحو ما تحاوله أمريكا في هذه الايام من عقد المعاهدة التجارية الرهيبة ، التي عرضتها في العهد الماضي ، ثم عادت اليوم تحاولها من جديد .

وهي المعاهدة التي تحتم علينا قبول البضائع المستوردة من أي بلد من بلاد العالم ، ما دامت تحمل الشعار الامريكي .. أي أن المصانع الامريكية في اسرائيل تغزونا في عقر دارنا ونحن لا نملك لها رداً .. وكذلك تغل يدنا عن الاحتفاظ بالعملة التي نريد الاحتفاظ بها ، لانها تبيح للشركات الامريكية وللرعايا الامريكان في مصر أن يخرجوا نقودهم بأية عملة كما يشاءون .

وذلك كله في مقابل أن يكون لنا — نحن المصريين — حقوق مماثلة في الارض الامريكية .

أي والله . مقابل أن تكون لنا في أمريكا شركات ومصانع وموظفون وأموال .. وأن نستمتع بالحريات والضمانات التي يتمتع بها الرعايا الامريكان في بلادنا .. تماماً كما كان لنا حق استخدام الموانىء والمطارات وطرق المواصلات في قلب انجلترا بحكم معاهدة الشرف والاستقلال في يوم من الايام . لولا أننا — لسوء الحظ — قد الغيناها هذه المعاهدة ! ومن يومها وأساطيلنا البحرية والجوية في أوروبا لا تجد لها مرسى ، لاننا قد فقدنا حق استخدام المطارات والموانىء الانجليزية ..

ونحن على يقين أن العهد الجديد لن يقبل هذا الفخ الامريكي الرهيب ، لأن العهد القديم على كل ما كان فيه من تلوث لم يستطع احتمال هذه التبعة الثقيلة . ولكن هذا اليقين لا يجوز أن يقعدنا عن التنبيه الى مثل ذلك الخطر ، وبخاصة ونحن نعلم أن الإستعمار يستعين دائماً بالاجهزة الداخلية التي تتألف من جمعيات وشخصيات تحمل في الغالب طابعاً بريئاً .

ولقد عرفنا من قبل أمثال جماعة اخوان الحرية والجمعية المصرية الانجليزية ، وجمعية نادي العلمين وجمعية نادي الجزيرة . وعلينا اليوم أن نعرف أن جمعية الفلاح ليست إلا واحدة من هذه الجمعيات البريئة .

. . .